الإحالة و أثرها في دلالة النص الروائي "غربة الياسمين" للروائية خولة حمدي

The referral and its impact on the significance of the narrative text « Ghorbat El Yassamine » by the novelist Khawla Hamdi

هانو سومية*

تاريخ الإرسال: 2021/01/26	تاريخ القبول: 2021/05/27	تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

تُعَدُ الإحالة أكثر أدوات الربط الاتساقية حضورًا في النصوص الأدبية على مختلف أنواعها، فهي مزيج من أدوات الربط، الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة؛ بحيث تُساهمُ هاته الأدوات في الربط بين فقرات النصّ وتيماته ربطًا منطقيًا يستوجب على الباحث استثارة موضوع الإحالة، والتنقيب عن دَلالته.

ولتبيان الملامح الأساسية لهذا المصطلح النصّي الذي عدّه روبرت دي بوجراند من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصّية، نتساءل ها هنا: ما المقصود بالإحالة في اللغة وفي الاصطلاح؟ وماهي أنواعها؟ وكيف ساهمت الإحالة كآلية اتساقية في تحقيق التماسك النصّي في الرواية العربية المعاصرة "غربة الياسمين" للروائية خولة حمدي؟

الكلمات المفتاحية: الإحالة، غربة الياسمين، الإحالة البعدية، الإحالة القبلية، الإحالة النصية، الإحالة السياقية أو المقامية.

Abstract:

The Referral is the most present coherency link words in literary texts, it is a combination of link words like absent pronouns, demonstrative adjectives and connected nouns. They contribute to linking text, In the reference topic researcher have to find excitability in prospecting significance, and search for its bottoms and hidden.

المؤلف المرسل: سومية هانو somia.hanou@yahoo.com

* جامعة لونيسي علي، البليدة 2، somia.hanou@yahoo.com

And for identify the basic features of this terminology which is present by Robert de Beaugrande that are important alternatives in finding textual competence, and to illustrate the basic features of the textual: idiomatic, we wonde – what is the reference in language and in textual idiomatic? What are their kinds? And how it contributed to the text cohesion in the roman "Ghorbat el yassamine" by the novelist Khawla Hamdi?
***Key words**:Referral,Ghorbat el yassamine Cataphora, Anaphora, Textual Endophora, Situational or Exophora.*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

1. مقدمة:

يسعى هذا البحث إلى دراسةالإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه في الرواية العربية المعاصرة، ولأنّ الرواية العربية من الفنون الأدبية التي احتلت موقعا متميّزا في الماضي والحاضر، فقد كانت ولا تزال محطةً هامة طالما شغفت الكثير من القراء بالوقوف عندها للتأمل متعةً بها، والاهتمام بها إجلالا لصدقها وعفويتها وحبكتها المتماسكة، فق وقع الاختيار على رواية "غربة الياسمين" كأنموذج للدراسة، وذلك لمعرفة مدى استطاعة خولة حمدي رسم حدود واضحة للخطاب الروائي وآليات تشكيله وفق نظرتها لمفهوم الإحالة وأثرها في دلالة النص الروائي؟ وما هي قراءتها للمقصدية الخطابية النصية في إشارتها لمقتضيات الإحالة وأشكالها؟ هل اهتمت بالمُنجَز أم بالمُنجِز، أم المُنجَز له؟ وما مدى مراعاة الكاتبة خولة حمدي لعناصر الإحالة (إحالة بالضمائر أو أدوات المقارنة،.....) في إنتاجاتها الأدبية، وهل بإمكان كل من امتلك أدواتها أن ينزلها من الإطار النظري إلى محك التجربة التطبيقية للنص الروائي؟

كما حاولت هذه الدراسة طرح بعض الفرضيات لفهم هندسة العبارات وفلسفة الإشارات الواردة في ثنايا نصوص رواية غربة الياسمين نذكر من بينها حسن توظيف الروائيةلآلية الإحالة بنوعيها، ومحاولة استنطاق النص المطروح للدراسة والبحث كنصّ إبداعي تحدثت فيه خولة حمدي عن ثنائيات جمالية متنوعة كالحرب والسلم، الأنا والأخر، الغربة والوطن، والحب والتعصب، من أجل تحديد تماسك النص واتساقه، وذلك عن طريق تحليل النص بطرق مبسّطة قدر المستطاع .

وهذا ما يمنح القارئ قدرة إضافية من محاولاتٍ لاستجلاء النصوص التي تساهم في تنمية العلاقة التفاعلية بين القارئ والنص، وكذا الكشف عن ظاهرة الإحالة الملازمة لفعل القراءة الخلاقة في رواية غربة الياسمين.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على منهجيةٍ رصدت فيها الحديث عن تعريف الإحالة في اللغة والاصطلاح،مع ذكر أنواع الإحالة في المدونة المدروسة ودورها في الترابط النصي لتحليل النصوص وخدمتها.

2.الإحالة(Reference)

1.2 الإحالة في اللغة:

كلمة الإحالة في اللغة العربية مُشتقة من الجذر اللغوي ح.و.ل.وقد جاء في اللسان لابن منظور(ت711ه): المحال من الكلام: ما عَدُل به عن وجهه، وحوّله جعله مُحالاً، وأَحَالَ أَتَى بمُحَال، ورجل محوَال: كثير مُحَال الكلام (...)، ويُقال أَحَلتُ الكلام أُحيلُهُ إذا أَفسَدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال: المُحال الكلام لغير شيء، والحِوَالُ؛ كل شَيء حَالَ بين اثنين...، وحال الشيء نفسه يَحُولُ حَولًا بمعنيين؛ يكون تَغييرًا، ويكون تَحَوُّلًا، والحوَالَةُ تَحويل ماء من نهر إلى نهر(...)، وتَحَوَّلَ الرّجُل: تنقّل من موضع إلى آخر"[1].

ويعرفها الزبيد بقوله: أحال الشيء تحوّل من حال إلى حال، أو أحال الرّجل: تحوّل من شيء إلى شيء[2]. وفي القاموس المحيط حال الشيء وأحال: بمعنى تحوّل[3].

وقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: حَالَ الشَّيءُ تَغيّر وتَحَوّل، وأحال الشّيء إلى كذا: غَيّره من حَال إلى حال، وأَحَالَ إلى الإشراف على سير العمل: نَقَلَه إليه، وأَحَالَ إلى القَضَاء: طلب مُحَاكَمَته، وأَحَالَ إلى مصدر أو إلى مَرجَع: أشار عليه بالرُّجُوع إليه وإحَالَة: مصدر أَحَالَ: استعمال كلمة أو عبارة تسير إلى كلمة أخرى سابقة في النَّص أو المُحادثة[4].

نستنتج من خلال ما ذُكر أن الإحالة هي مصدر الفعل أَحَالَ: وهو يدلّ على التّبدل والتغيّير، التحول والانتقال من حالة إلى أخرى...

2.2 الإحالة في الاصطلاح

اهتمت الدراسات اللسانية بهذا المصطلح، وأولته اهتمامها، نظرا لما تحمله الإحالة من مظاهر الترابط الداخلي لأَواصر مَقاطع النَّص، باعتبارها وسيلة لاختزال المعنى، فاللغة نفسها نظام إحالي[5]، ويبسِّطُ مفهوم الإحالة بعض علماء النصّ كالآتي:

يقول جون لاينز (J.Lyons)في عرضه لمفهوم الإحالة: "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى مسميات"[6]، وبالتالي يجدر بنا التأكيد على أهمية أن تتصف العلاقة بين الأسماء والمسميات (المحال والمحال إليه) بالتوافق والانسجام من خلال عناصر تؤكد طبيعة تلك العلاقة؛ "فالإحالة تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص وتجسيدها، وخَلْقِ علاقات معنوية من خلال تلك العناصر الإحالية"[7].

كما أشار ميرفي (Myrphy) للإحالة قائلا: " الإحالة تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي يتبعه أو الذي يليه"[8]، فالعناصر اللغوية في كل نص ترتبط ببعضها البعض، والعنصر اللاحق يعتمد على سابقه، "فالوحدات العائدية (anaphores)أو مايعرف بالعوائد البعدية (cataphores) التي يمكن تأويلها بفضل مقومات توجد قبل (anaphores)أو بعد (cataphores) في النص المجاور: الضمائر، البدائل المعجمية"[9].

كما تعد الإحالة "علاقة معنوية بين ألفاظ معيّنة إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول...إلخ، حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية"[10]،فالإحالة علاقة بين عنصرين أو أكثر، يوظفها الكاتب قصدًا لتربط بين أجزاء النص، وبالتالي فهي تساهم في اتساقه وترابطه.

كما يعرفها **أحمد المتوكل** بأنها "علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب، إمّا في الواقع أو المتخيل أو في خطاب سابق أو لاحق"[11]، وعليه فقد أشار ها هنا إلى أنواع الإحالة سواء أكانت داخلية أو خارجية، بالإضافة إلى الإحالة القبلية والبعدية.

وقدم **كلماير Kallmeyer** تعريفا دقيقا وواضحا للإحالة بقوله: "الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) أو (عنصر التعلق)، وضمائر

يطلق عليها (صيغ الإحالة)، وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد إليه"[12].

3.أنواع الإحالة

1.3الإحالة المقاميةفي "غربة الياسمين" ودورها في الترابط النصّي:

ويقصد بالإحالة المقامية؛ الإحالة إلى خارج النص، أو إلى غير مذكور، حيث يقول **تمام حسان**: "وتعتمد الإحالة المقامية لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف"[13]، فالإحالة إذن، تعد ظاهرة لغوية نصّية مهمة، وسنحاول رصد عناصرها وأدواتها وتحليلها وبيان أثرها في حدود المدونة، فهي من أهم مفاتيح الباحث للولوج إلى بنية النص وتحليله. كما يعرف **جمعان عبد الكريم** الإحالة بقوله: "إن النص بكامله عنصر إحالي إلى الخارج أو الموقف على الرغم من تسليمنا بكافة العمليات الذهنية في الإنتاج والتحليل التي يخضع لها النص"[14].

أ.العنوان ودوره في الترابط النصّي:

سنحاول استجلاء العلاقات الاتساقية في رواية غربة الياسمين، وسنبدأ بالعنوان الذييعد العتبة الأولى التي تصادف عين القارئ، والمفتاح الذي يسمح لنا بالولوج إلى هذا العالم جميل، عالم غربة الياسمين.

عنوان "غربة الياسمين" يحتل مركز الصدارة في الصفحة الأولى من الغلاف، وهو إحالة نصية بعدية يحيل كذلك إلى شخصية البطلة ياسمين، ياسمين التي كانت رقيقة في شخصها، قوية ومتميّزة في شخصيتها، كتميّز رائحة الياسمين النفاذة والفريدة عن غيرها من الروائح الزكية... حيث تقول الكاتبة عن ياسمين التي عانت كثيرا من أجل مواصلة الدراسة، وطلب العلم بعيدا عن أرض الوطن: **"وهي تثبت كل يوم أنها قادرة على تذليل كل الصعوبات التي تواجهها (...) وما تلك التجربة إلاّ محنة جديدة لن تخرج منها إلاّ وهي تحمل كأس البطولة لتضيفها إلى قائمة بطولاتها الشخصية التي لا يعلم أحد غيرها عنها شيئا"**[15].

نبات الياسمين له دلالات كثيرة، فهو يدلّ على الطهارة والنقاء، وعلى الجمال والصفاء...، وشمس تونس كانت مواتية لنضج ياسمين وتكوين شخصيتها...ليتغير الوضع فجأة، وتنتقل ياسمين من تونس إلى فرنسا بلد الحرية والتحرر؛ وهو ما يرمز للغربة

والاغتراب عن الوطن...، إلاّ أنّ الكاتبة غفلت عن حقيقة مُرّة هذه المرة؛ حقيقة أنّ زهرة الياسمين تذبل بسرعة حين تغادر تربتها أو تغدر من طرف الغير، لتؤكد بذلك في نظرها أن المرأة لا تستطيع العيش بأمان واستقرار في بلد غير بلدها وعادات غير عاداتها ومبادئ تخالف عقيدتها، تقول الكاتبة: "**منذ صغرها توصيها أمها ألا تتحدث إلى الغرباء أو تأخذ منهم شيئا، لكنها حين التقت ذلك الغريب، رمت بكل وصاياها عرض الحائط**"[16].

كما يمكننا أن نمثل المواضيع التي تناولتها الكاتبةبمختلفالقيم النموذجيةوهي كالآتي:

ب. القيم الشخصية:

تهدف الكاتبة خولة حمدي إلى لفت انتباه الدارسين والمهتمين بهذا اللون الأدبي الذي طالما ترك بصماته على الإنتاج المحلي والعالمي؛ باعتباره أفصح متكلم ومعبر عن حياة الناس والمجتمع مع ضرورة الانفتاح على الدراسات الحديثة في بناء العمل النقدي من خلال طرح بعض المواضيع المهمة التي تستحق التأمل.

بالإضافة إلى ما كانت تنوّه إليه الكاتبة في رواية غربة الياسمين؛ حول صورة المرأة العربية المثقفة في الرواية، فقد مثلت شخصية المرأة القوية بعلمها ونخبويتها في الغربة، من خلال ذكرها لرمز من رموز الرواية ياسمين التي انتقلت من بلدها تونس حيث الأهل والأحباب والوطن؛ إلى فرنسا لتواصل دراستها وتقديمها لمشروع الدكتوراه في علم الاجتماع للتحري والبحث أكثر عن موضوع الانتحار...، وكذلك المحامية رنيم شاكر، هذه الفتاة الشرقية التي لم تنعم بالحنان والعطف الكافيين في حياتها، إلاّ أنها كافحت وتجاوزت كل العراقيل والصعوبات التي واجهتها لتحقق أحلامها على أرض الواقع..."**لم يكن أحدهم يتخيّل أن تقف تلك الطفلة المترددة ذات اللسان المعوج يوما في قاعة المحكمة وتترافع أمام حشود غفيرة جاءت لتستمع إليها**"[17].

ه.القيم الدينية:

لقد عاينت الساردة قضية الحجاب ونظرة المجتمع الفرنسي له في الرواية، باعتباره عائقا في تقدم المرأة ورقيّها، غير أن ياسمين لم تستسلم لذلك الواقع، حين اعتبرت الحجاب قناعة بكل ما يمليه الدين الإسلامي، ولا تسمح لغيرها أن يناقشها في هذا الأمر

بقولها: **"آسفة لباسي ليس قابلا للنقاش"**[18]، وفي هذا ما يمثل صورة المرأة الشرقية بحجابها وعاداتها وتقاليدها، القوية بمبادئها وصبرها:

"اختارت الحجاب وهي على دراية بكل ما ينتظرها من معوقات...فلم يكن الحجاب أكسسوارا تنسقه بسروال الجينز الضيق، والسترة القصيرة فاقعة اللون في بلد يُعلي من حريّة المرأة في التجرّد من ثيابها...لم تثنها المعرقلات بل زادتها إيمانا"[19]

فبالرغم من أنّ طلب ياسمين للعمل في فرنسا كان يُرفض في كل مرة؛ لا لشيء إلا لأنها ترتدي الحجاب، إلا أنّ هذا الأمر لم يحبط من عزيمتها أو يجعلها ترضخ لرغبات النفس، بل زادها قوة وإيمانا وتمسكا بزيها الاسلامي الذي شرفها الله به.

2.3 الإحالة النصية في"غربة الياسمين"ودورها في التماسك النصِّي:

إذا كانت الإحالة نصية فهي تحيل إلى سابق أو لاحق، وهي تقوم بدور فعال في اتساق النص[20]. ومن خلال ذلك، يمكن تقسيم وسائل الاتساق الإحالية إلى أقسام ثلاثة نوضحها في المخطط الآتي:

مخطط نموذجي للإحالة حسب تقسيم رقية حسن وهاليداي:

أقسام الإحالة النصّية		
1-الضمائر	2- أسماء الإشارة	3- أدوات المقارنة
(أنا،نحن،أنت، هو...)	(هذه،هذا، هؤلاء...)	(أيضا،مثل ذلك، أفضل ...)

وبالتالي؛ فقد قسَّمها هاليدي ورقية حسن في كتابهما (الاتساق في الإنجليزية) إلى الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، والتي نقصد بها الأدوات أو الألفاظ التي تساعدنا على تحديد المحال إليه داخل السياق اللغوي أو سياق المقام.

كما تنقسم الإحالة النصية بدورها إلى نوعين وهما:

أ.إحالة نصية قبلية (Anaphora): وهي إحالة توجه المتلقي إلى الرجوع للجمل أو الخطابات السابقة حتى يتسنى له الفهم .

ب.إحالة نصية بعدية(Cataphora):توجه المتلقي إلى قراءة جمل أو فقرات مذكورة لاحقا[21].

يعوّل علماء النّص في التماسك النصي على ضمائر الغائب (هو، هي، هما، هما، هن، هم) التي تحيل إلى شيء داخل النص، والتي بدورها تدفع المتلقي إلى البحث في النص

عما يعود إليه الضمير، ولا يعوّل على الضمائر المحيلة إلى متكلم أو مخاطب في عملية اتساق النص، فهي تحيل إلى خارج النص ومثال ذلك: أنا، نحن، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن... وعلى هذا الأساس، فقد اخترنا الضمائر الأكثر ورودًا في رواية "غربة الياسمين" للكاتبة خولة حمدي.

أولا. الإحالة بضمائر المتكلم:

تنقسم الضمائر الشخصية إلى قسمين هما:

أ-ضمائروجودية : أنا ،نحن، هو، هي،هم...

ب-ضمائر ملكية: لي، لك، لكما، لكم...

اهتمت الدراسات النقدية بضمير المتكلم؛ باعتباره الأبرز في التعبير عن الذات تعبيرا لغويا دقيقا، وقد ذهب **إميل بنيفست** إلى أنّ "الأنا هو الشخص الذي يقول القول يتضمن الصيغة اللغوية أنا"[22]، "كما ذهب إلى أنّ هذه الصيغة لا تكتسب حقيقتها وطبيعتها إلاّ من خلال الخطاب"[23].

وقد استعملت الكاتبة خولة حمدي ضمائر المتكلم (أنا-نحن)،وذلك لأن استعمال هذه الضمائر يعود إلى الذات المتكلمة، وهي الروائية نفسها إذا ما عايشت الأحداث بنفسها أو خاطبت شخصا ما لتتكون بذلك "إحالة عنصر إشاري لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا، إذ يمثل مرجعا موجودا مستقلا بنفسه"[24]. ومثال ذلك ما دار من حوار بين ياسمين وهيثم الذي خاطبها قائلا:

"آه...هل اخترت تخصصا أدبيا لأنك لم تكوني موفقة في العلوم الصحيحة؟...

-ليس الأمر كذلك، أنا أرفض التمشي الذي يفرض على الطلبة المتفوقين اتباع التخصصات العلمية، وعلى الطلبة الأقل تفوقا التخصصات الأدبية، (...)

-رأي معقول...لكنني صراحة أفضل التعامل مع أصحاب الميول العلمية، لأنهم يكونون أكثر عقلانية لتعودهم على التحليلات المنطقية التي تركز عليها العلوم الصحيحة"[25].

وقد يلاحظ القارئ أن الكاتبة قد وفقت لحد بعيد في تحقيق التماسك الشكلي حينما استعملت ضمائر المتكلم والمخاطب على حد سواء، من خلال الحوار الذي دار بين ياسمين وقريبها حول التخصصات العلمية والأدبية، حيث نجد الضمائر المقامية متراوحة بين ضمير المخاطب المفرد المؤنث (أنت الذي يعود على ياسمين)، وضمير المتكلم المفرد (أنا والذي يعود على هيثم)، وذلك دون اعتماد التكرار الذي قد يحدث خللا في الأسلوب كما هو موضح كالآتي:

-اخترت: أنت (ضمير منفصل) -أنا أرفض: أنا (ضمير منفضل)

-لأنّكِ: أنت (ضمير متصل) -لكنني: أنا (ضمير متصل)

-لم تكوني: أنت (ضمير مستتر) -أفضِّلُ: أنا (ضمير مستتر)

وليس من المبالغة في شيء، إذا ما قلنا أن الكاتبة قد نوهت إلى نقطة مهمة من الناحية الدلالية تعبر فيها عن سبب اختيار التخصصات، فالكاتبة ها هنا قد أرادت أن تصلح التصور الخاطئ للمخاطَب حول موضوع اختيار التخصص، حين ترى أن اختيار التخصص في الدراسة هو اختيار لأسلوب الحياة، ومن عرف الحياة على حقيقتها سيدرك لا محالة أنّ العقلانية لن تكون لدى أصحاب الميول العلمية فقط، ولا لأصحاب الميول الأدبية فقط، بل لكليهما، لأن التركيز على جانب واحد دون الآخر يعد نظرا ناقصا، وفكرا مبتورا لا يؤدي بالحضارة إلى الغاية المطلوبة والمنشودة...

وتقول خولة حمدي موضحةً لنا موقف رنيم شاكر التي ضحت بكليتها لميشال روسو من أجل تقوية العلاقة بينهما وتحقيقها حلم الزواج به، لكن هذا الشاب لم يكن يبالي بحبها له ورفض الزواج منها قائلا: **"كنت أتمنى أن نستمر معا...لكن أنت تريدين الزواج.. و أنا لست مستعدا له بعد.لا أريد علاقة تقيدني، الزواج ليس إلا عقدا مكبلا.. و أنا أريد أن أحتفظ بحريتي، حتى.. حتى لا نعقد الأمور حين يمل أحدنا الآخر.. أو حين تنتهي المشاعر، أريد أن أعيش اللحظة كما هي..."**[26]، فقد وظفت الكاتبة في هذا المقطع الروائي ضمائر المتكلم كالآتي:

-كنتُ: ضمير المتكلم المستتر(أنا)

-أتمنى: ضمير المتكلم المستتر(أنا)

-أن نستمر : ضمير المتكلم المستتر(نحن)

-أنا لست:الضمير المتكلم المنفصل (أنا)، وكذلك الضمير المسستر(أنا) بعد الفعل **لست**
-لا أريد: ضمير المتكلم المسستر(أنا)
-أنا أريد: ضمير المتكلم المنفصل (أنا)، بالإضافة إلى الضمير المسستر(أنا)بعد الفعل **أريد**
-أن أحتفظ: ضمير المتكلم المسستر(أنا)
-بحريّتي: ضمير المتكلم المسستر(أنا)
-لا نعقّد: ضمير المتكلم المسستر(نحن)
-أعيش: ضمير المتكلم المسستر(أنا)

فقد استعمل ميشال في حواره هذا ضمير المتكلم (أنا) إحدى عشر مرّةً متراوحة بين الضمير الصريح الظاهر والمنفصل في آن واحد، مثل (أنا لست، أنا أريد)، وكذا الضمير المسستر(أنا) مكرر تسع مرات في باقي الكلمات، في حين نجد توظيف الضمير المتكلم المستتر (نحن) مرتين فقط في قوله (أن نستمر) و(لا نُعقّد)، وما هذا إلا دليل على فلسفة استعمال ميشال للأنا غير العادلة إزاء هذا الموقف النبيل من طرف رنيم، فمن جهة جعل من نفسه مركزا لكل شيء، منحازا لنفسه ومنشغلا بها على حساب الآخرين، ومن جهة أخرى نجده مضايقا للآخر الذي يمثل شخصية رنيم، بحيث استغلها واستعبدها، ثم تخلى عنها في أصعب الظروف، ولم يأبه لما عانته في المستشفى من ألامٍ كبيرةٍ لإنقاذ حياته...

وفي نفس الدلالة والسياق، تقول الكاتبة كذلك على لسان السيدة الفرنسية إيلين التي التفتت إلى ياسمين لتخاطبها في حدة، حيث قالت في لهجة قاطعة: **"لست في حاجة إلى دين ما لأميّز الخير من الشر، وأنا راضية عن أخلاقي ومعاملتي ... لست في حاجة إلى أوامرٍ ونواهٍ تسير حياتي"**[27].

من خلال هذا المقطع الروائي نجد توظيف الكاتبة لضمير المتكلم (أنا) على النحو الآتي:

-لست، لست: ضمير المتكلم مسستر (أنا)
-لأميّز: ضمير المتكلم مسستر (أنا)
-أنا راضية: ضمير المتكلم المنفصل (أنا)
-أخلاقي، معاملاتي، حياتي: ضمير المتكلم مسستر (أنا).

حيث نجد استعمال الضمير المفرد المتكلم (أنا)؛ يدل ها هنا على الأنانية والغرور وادعاء المثالية المطلقة، فالسيدة الفرنسية إلين لم تتقبل الدين الإسلامي الذي دعتها إليه ياسمين، ولم تتقبل حتى النصائح والإرشادات التي كانت تقدمها لها، واستعمالها لضمير المتكلم (أنا) في (لست، لأميّز، أنا راضية، أخلاقي...) جعل من **إلين** سيدة نفسها وسيدة الأخلاق والفضائل دون أن ترضخ للآخر أو لدين آخر، وفي الحقيقة؛ ليس الأمر كذلك مطلقا.

كما يبقى لبعض أشكال النصّ المكتوب سياق الإحالة الخاص به، الذي قد يحيل في أحيان كثيرة على الكاتب مثل أنا أو إلى قارئه أو إلى كليهما، يحدث هذا في كتابة الرسائل، وقصص السيرة الذاتيةً، أو في الإعلانات، أو الوثائق الرسميَّة... وغيرها"[28]، ولكل استعمال لهذين الضميرين دلالة خاصة ومناسبة لسياق النص.

ثانيا.الإحالة بضمائر الغائب:

ومن الأمثلة الإجرائية، التي برزت فيها الإحالة بضمائر الغائب(هو، هي، هما، هما، هنّ"، قول الكاتبة: "**كيف ستواجه ياسمين الآن؟ ياسمين وعمر...، كان يجب أن تعلم بأنهما متوافقان بشكل مذهل، في الطباع والأفكار والقناعات والأذواق، كانت تتندر في سرها بخصوصهما فتقول إنهما نسختان متطابقتان، الأولى ذكر والثانية أنثى، الأولى في العمل والثانية في البيت، لذلك قرّرت ألا تهتم بالعمل الذي يخصه هو، وألاّ تعود إلى البيت الذي تسكنه هي**"[29].

الحب كنز ثمين يودعه الله النفوس الحساسة، وهكذا كانا عمر وياسمين المتحابين، واللذان أشارت إليهما الكاتبة حين استخدمت الإحالة بضمير المثنى الغائب (هما) في: (أنهما)، (متوافقان)، (بخصوصهما)، (نسختان)، (متطابقتان)، لتصنع بذلك صورة جميلة وغريبة في الوقت نفسه، عندما تتحدث عن رنيم المرأة القوية التي فشلت للمرة الثانية في تجربة الحب، والتي كانت دون سابق إنذار همزة وصل بين ياسمين وعمر باستعمالها الضمرين (هو-هي)، غير أن رنيم (قررت) ألا تضحي بما لا تستطيع أن تضحي به مرة أخرى وهو الحب، وعليها أن تتصرف بسرعة أو أن تنصرف بسرعة أسرع اتجاه حبها لعمر وإخلاصها لصديقتها ياسمين.

فاستخدام الكاتبة لضمير الغائب المذكر المفرد (هو)، لا شك أنه عنصر إشاري يحيل إلى (عمر) الذي يعد موكلها البريء من التهمة التي نسبت إليه براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، ألا وهي تهمة تفجير الشركة ليلا. وكذلك ضمير الغائب المؤنث المفرد (هي) كذلك هو الآخر عنصر إشاري يحيل إلى شخصية (ياسمين) صديقتها الوحيدة ورفيقة دربها في غربتها الموحشة، وهو ما سنوضحه من خلال هذه الترسيمة التي تشير إلى الإحالة النصية القبيلة:

-سرها، كانت، تتنتقول، قررت، أن تعلَم: هي (للمفرد المؤنث الغائب)

-أنهما نسختان، إنهما، بخصوصهما: هما (للمثنى الغائب)

-يخصه هو : هو (للمفرد المذكر الغائب)

-تسكنه هي: هي (للمفرد المؤنث الغائب)

فضمائر الغائب المتصلة (ها-هما-ه-ه)، وضمائر الغائب المنفصلة (هو-هي) التي وظّفتها الكاتبة لإحالة نصية قبلية ساهمت وبشكل فعال في الربط بين جمل النص، وتجنب الوقوع في تكرار أسماء شخصيات الرواية، بالإضافة إلى اتساق النص وتماسك وحداته.

وفي قول الكاتبة عن شخصية رنيم: **"ركضت وقوة خفية تدفعها. لقد تخلت للتو عن حلم طفولتها ومراهقتها وبداية شبابها، إنها تعني ذلك جيدا. بعض الأحلام نتمناها وننتظرها بترقب ونفاد صبر.. وحين تصبح منا قاب قوسين أو أدنى، ندفعها بلا ندم، لأننا ارتفعنا بأحلامنا درجة ورفعنا هممنا درجات، فما عادت أحلام الماضي تكفينا وترضينا"**[30].

فالكاتبة هاهنا ترسم لنا لوحة فنية صادقة، تخرجها إخراجا واقعيا محكما من خلال هذا الوصف الذي يحتمل عدة تأويلات وتفسيرات عميقة الدلالة؛ بدليل عودة صديقها ميشال روسو لطلب الزواج منها، وليحقق لها جميع الأحلام التي كانت تحلم بها في سابق عهدها؛ عارضا عليها الزواج في جو رومانسي لم تكن لتحلم به، إلا أن لقاءها بعمر؛ ذلك الشاب الشرقي الأصيل، جعلها تغير تفكيرها وسلوكها وكيانها إلى عالم أجمل وأطهر وأنقى من عالم ذلك الشاب الفرنسي الأشقر الذي لا راية له ليحملها، إلا راية اللهو وعدم تحمل المسؤولية...

وكذلك نجد قول الكاتبة كذلك في السياق ذاته: **"كانت مقاتلة منذ البداية، قاتلت في رحم أمّها وتشبثت بالحياة، فجاءت إلى الدنيا بعد إجهاضين، ثم كانت لها رحلة في حضانة المستشفى الخاصة، لتنتهي شهور الحمل صناعيا بعد أن لفظها الرحم وهي جنين غير مكتمل النمو، لا تذكر علاقتها الوطيدة بتلك المستشفيات، والأسلاك والآلات، لكنها أدركت في وقت مبكر أنها مختلفة عن بقية الأطفال"**[31].

ففي هذا ما يدل على القوة لا على الضعف، لأن المرأة الضعيفة هي رمز الأمة المظلومة، والمرأة هي أساس المجتمع وتميزها هو تميز للأمة والشعوب التي لا ولن ترض بالتراجع إلى الوراء أو الهبوط إلى الحضيض؛ وذلك لن يكون إلاّ بالإرادة والعزيمة، الإيمان بالمبادئ والأهداف التي يحيا من أجلها الأحرار...، فقد نوعت الكاتبة في استعمالها لضمائر الغائب المتصلة والمنفصلة، الظاهرة والمستترة، وهي عبارة إحالات نصية قبلية؛ وهذا دليل على براعتها وتمكنها من توظيف الإحالة بنويعها النصية والمقامية .

وفي قول خولة حمدي: **"ابتسمت ياسمين وهي تستمع إليه يتحدث عن والدتها وفي صوته شيء غريب، ربما حنين وربما عتاب، كانت فخورة بوالدتها، وحزينة من أجلها، تساءلت هل يمكن أن يكون والدها قد ندم على تفريطه فيها؟ عشرون سنة من الفراق، أليست كافية لمراجعة النفس؟ غيّر اسمه منذ خمسة عشر عاما واختار أن يحمل اسم زوجته الفرنسية، لكنه اليوم لم يعد سعيدا معها،**
قد يرغب سرا في العودة إلى الوراء وشطب كل تلك الأخطاء من حياته"[32].

وقد يوضح هذا الجدول الإحالات النصِّية على مستوى توظيف ضمائر الغائب:

الإحالــة	ضمير الغائب	المحال إليه	نوع الإحالة
تستمع، ابتسمت، تساءلت، كانت	الضمير المستتر: هي	ياسمين	أحالة نصية قبلية
يتحدث،صوته،يكون،تفريطه، غيّر،اسمه، اختار، زوجته لكنه، لم يعد، قد يرغب، حياته	–الضمير المستتر: هو –الضمير المتصل: ـه	سامي كلود والد ياسمين	أحالة نصية بعدية
والدتها، من أجلها، فيها	الضمير المتصل: ها	فاطمة أم ياسمين	إحالة نصية

			قبلية
معها	الضمير المتصل: ها	إلين زوج سامي كلود	إحالة نصية قبلية

نوّعت خولة حمدي في هذه المحطة بين ضمائر الغائب (هي)، و(هو)، وهي إحالات مقامية قلبية وبعدية إلى الشخصيات (ياسمين، والد ياسمين، أم ياسمين، وإلين زوج أبيها الثانية، وتواجد هذه الإحالات منتشرة على مستوى كل الفقرة، دلالة واضحة على الاتساق والتلاحم النَّصي والدلالي الظاهر، وقد أدى هذا الربط الإحالي إلى إزالة الغموض، ووضوح أفكار الكاتبة في طرح قضية التناقض والتضارب الذي يعيش فيه والد ياسمين بين الماضي الجميل والحاضر المرير، والعلاقة المتشاكلة بين الشخصيات الثلاث.

كما وقدساهمت هذه الضمائر المتصلة والمستترة في ربط جمل وتيمات النص، وهذا من خلال السياق العام لها. فلهذه الإحالة "شأن آخر في مجال الربط هو التذكير بعنصر آخر من عناصر الجملة، حتى يحدث الترابط بين الجملتين، ومن ثم تتحقق لحْمَةُ النص ونسيجه"[33].

ثالثا.الإحالة بضمائر المخاطب:

المتكلمون عادة في أحاديثهم يستعملون الضمائر في الإشارة إلى أنفسهم أو إلى الشخص المخاطب من دون ذكر أسمائهم، وبذلك تكون إحالة هذه الضمائر في هذا المقام مقاميّة، خاصة إذا ما سُجّلت هذه الحوارات. وفي هذا السياق تقول الكاتبة على لسان المتهم عمر: **"أما أنت أيتها المسلمة المحترمة، تعرفين الإسلام كل المعرفة.. ومع ذلك تولينه ظهرك ووتنكرينه بعقلك وتتمردين علي تعاليمه بشكلك. أنت التي تدينين به لا تحترمينه كما ينبغي لك أن تفعلي، فكيف أثق بك كترجمان يقنع هذا المجتمع ببراءتي؟ كيف تدافعين عن معتقد و أنت تنكرين له بعد أن نشأت بين أحضانه؟ لذلك لا أريدك للدفاع عني. أرجوك ارجعي من حيث أتيت"**[34].

والملاحظ في هذا المقطع الروائي هو تحقيق التماسك الدلالي للنص، فقد يوافقني القارئ الرأي أن الكاتبة قد أوقعت التلاحم بين فقرات النص؛ حين زاوجت بين معرفة المحامية رنيم للاسلام وإنكارها لتعاليمه من خلال عدم احترامها لبعض المبادئ والقيم، مع

عدم القدرة على الدفاع عن قضية عمر المتهم بانفجار الشركة، وإقناع المجتمع ببراءته دون اقتناعها هي أصلا بالبراءة...موظفة بذلك ثان ضمائر المفرد المؤنث المخاطب بمختلف أنواعه، المنفصل، المستتر والمتصل الذي يعود على رنيم، وهو ما سنوضحه أكثر كالآتي:

-أنتِ، أنتِ، تعرفين، توليـن، تتمردين، تدينيـن:أنتِ (ضمير منفصل) .

-تحترمينه، أن تفعلي، تدافعين، تنكريـن، ارجعي، أتيـتِ:أنتِ(ضمير مستتر).

-شكلك، ظهرك، لك، بك، أريدك، أرجوك (لك)؛ (ضمير الملكية المتّصل).

فقد ساهمت هذه الإحالات الخارجية في الترابط النَّصي بين ثنايا النص، كما لفتت انتباه القارئ لفهم مقاصدها، من خلال توظيف الكاتبة خولة حمدي لهته الضمائر المختلف أنواعها، والتي تود كلها على شخصية البطلة رنيم، فالضمائر لها أهمية كبيرة في "تحقيق تماسك النص الشكلي والدلالي، فهي الأصل في الربط"[35].

وتقول الكاتبة: **"كونك مسلمة يعني أنك لن تسمحي لنفسك الذوبان في مجتمع لا دين له...بل من واجبك ألا تفعلي، هنا تعيشين صراعا بشكل يومي للبقاء والاستمرار وحماية ثو ابتك، قد تمر عليك أوقات تترنحين فيها وتوشكين على السقوط، لكن عليك مواصلة الطريق والحفاظ على احترامك لنفسك.. لأن تخليك عن هويتك يعني ضياعك..."**[36].

برزت هنا إحالة نصّية تعود على مذكور سابق (ياسمين)، حين استعملت خولة حمدي في ذلك ضمير المخاطب المتصل (ك) المتصل بـ (كونك) رابطًةً بذلك المتواليات النصية في النص. ثم إنّ تكرر توارد ضمير المخاطب (الكاف) في الكلمات (نفسك)،(واجبك)، (ثوابتك) ،(عليك)، (احترامك) ،(لنفسك)،(تخليك) هو جعل من العبارات والجمل، على مستوى الفقرة الواحدة مترابطة بواسطة خيط معنوي، جعل منها مشهدا متلاحما متماسكا ومتسقا أكثر فأكثر.

كما نشير أيضا إلى دور الضمير المنفصل المستتر (أنت)، في قوله (تسمحي)، (تفعلي)، (تعيشين)، (تترنحين)، (توشكين) في ربط المتواليات النصية. وهي إحالة إلى مذكور سابق وهي البطلة ياسمين.

فقد حققت هذه الضمائر الخطابية للنص اللذة والترابطً والانسجام بين وحدات وتيمات الرواية العربية المعاصرة "غربة الياسمين".

والملاحظ أن هذه الإحالات المتنوعة هي إحالات داخلية قبلية، أحال فيها الضمير المستتر للمخاطب (أنت) إلى العنصر الإشاري (شخصية ياسمين.[*] وهذا يبدو جليا من خلال استخدام الإحالات المتداخلة مع العنصر الإشاري، مما أضفى على النص تماسكًا دلاليًا.

وكل هذه الإحالات النصّية ساهمت في اتساق الرواية ككل، عن طريق ضمائر المتكلم والغائب والمخاطب، والتي ساهمت في ربط أجزاء المدونة من جهة، ومن جهة أخرى ساهمت في تماسك البينة الكلية للرواية.

4.خاتمة:

وفي ختام هذا الموضوع الذي حاول أن يدرس دور الإحالة وأثرها في دلالة النص الروائي لخولة حمدي في رائعتها غربة الياسمين، يمكن القول أنه قد استطاع هذا الموضوع أن يرصد مواطن الإحالة وجماليتها الشعرية في النص الروائي، وبيان مدى استفادة رواية غربة الياسمين من مختلف المنابع الدلالية، التركيبية، النحوية والأدبية للإحالة في ظل هذا الزخم من التراث الذي نفتخر به.

كما يلاحظ أن خولة حمدي قد استخدمت في روايتها روابط متنوعة لها أثر بالغ في التماسك النصي، فنوعت فيها بين الإحالة الضميرية والإشارية والموصولية، وهذا لبلوغ مقاصدها التي ترمي إليها، وهي النظرة الشمولية للمغتربين عن أوطانهم، والدوافع الإنسانية للهجرة التي يسعى إليها الكثيرون للدفاع عن القضايا العادلة في هذا العالم.

وقد اعتمدت خولة على الإحالة الضميرية أكثر من غيرها، فكانت أقوى الروابط وأكثرها انتشارًا على مستوى نصوصها، حيث ساهمت في تماسكها وتلاحمها. كما زاوجت الروائية بين الإحالة النصّية بنوعيها (القبلية والبعدية)، والتي ساهمت في حبك النص وتماسكه، بالإضافة إلى توظيفها للإحالة المقامية، التي تربط النص بالسياقات الخارجية، والتي بدورها أعانت المتلقي في فهم كُنْهِ النص وربطه بمرجعياته.

وبالتالي ومن خلال هذه النظرة البسيطة، يمكننا القول بأنّالكاتبة خولة حمدي قد استطاعت التفطن لمبادئ الإحالة؛ خاصة في تقصيها لأبعاد اللغة في شقها الإنجازي

المتعلق بالضمائر، في خضم الصراع القائم بين توظيف ضمائر المتكلم، المخاطب والغائب باعتبارها مركز اهتمام النص بكل معطياته،وبهذايكمن القول كذلكبأنّالإحالة في هذه المدونة ليست صورا بلا حقائق، أو ألفاظا فارغة من معانيها، بل هي معطيات متانسقة ساهمت في الاتساق بين وحدات وأجزاء الرواية مُكونة لَبِنة نصّية متكاملة منسجمة ومتلاحمة عنوانها "غربة الياسمين".

5. الهوامش:

1ابن منظور الإفريقي المصري: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط2، دار المعارف، مصر، 1992، ج9، ص1055.

2محمد مرتضي الحسيني الزبيدي: المطبعة الخيرية، ط1، مصر،1306هـ، مادة (حول).

3الفيروزأبادي مجد الدّين: تاج العروس، ط1،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1952، ص989.

4أحمد مختارعمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1،القاهرة، مصر، 1429هـ، 2008م، مج1، ص585 -587.

5الأزهر الزناد: نسيج النص بحث في ما به يكون الملفوظ نصًا، ط1،المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993م، ص115.

6J.Lyons: Linguistique général, introduction à la linguistique théorique, traduction de F , Dubois et D. ROBINSON , imprimerie Herssey, France, 1983. p 383

7أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، (د،ط)، كلية دار العلوم،جامعة القاهرة، (د،ت)، ص14.

8ينظر: ج.ب براون ،ج.يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، (د.ط)، النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود، 1418هـ-1998 م، ص36؛ نقلا عن نعيمة سعدية، الخطاب الشعري عند محمد الماغوط دراسة تحليلية من منظور لسانيات النص، رسالة دكتوراه(مخطوط)، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2009-2010م، ص260.

9دومينيك مانغوغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر:محمد يحياتن، ط1،منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 1428 هـ-2008م، ص19.

10أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، ص 13.

11أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1،منشورات الاختلاف، الجزائر، 1431هـ-2010م، ص73.

12كلماير وآخرون: أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، تر وتعليق: حسن سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر،ط1، 2009م، ص248؛ وسعيد حسن

بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1،مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1426هـ-2005م، ص98؛ وزاهر مرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، ط1،دارجرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1431هـ، 2010م، ص42.

13روبرت دي بوجر اند: النص والخطاب والإجراء ، تر: تمام حسان، ط1،عالم الكتب، القاهرة، ص322.

14جمعان عبد الكريم: إشكالات النص المداخلة أنموذجا-دراسة لسانية نصية-، ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2009م، ص349.

15خولة حمدي: غربة الياسمين، ط1،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2010، ص29.

16المصدر نفسه: 3.

17المصدر نفسه: 29.

18المصدر نفسه: ص17.

19المصدر نفسه: ص19.

20محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ المغرب، 2006م، ص17- 19

21 DavidNunan: Introducing discourse analysis , Peguuin group, London, England, 1993, p22

22محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية الغربية، (د.ط)، تأسيس نو النص، تونس، المؤسسة الغربية للنشر، 2006، ص 1076.

23المرجع نفسه: ص1073.

24الأزهر الزناد: نسيج النص، ص119.

25غربة الياسمين: ص81.

26المصدر نفسه: ص8.

27المصدر نفسه: ص22.

28DavidNunan , Ibid: p.p 50.

29غربة الياسمين: ص175.

30المصدر نفسه: ص180.

31المصدر نفسه: ص28.

32المصدر نفسه: ص42.

33تمام حسان: الخلاصة النحوية، ط1،عالم الكتب القاهرة، 1420هـ-2000 م، ص 89- 90 .

34غربة الياسمين: ص93-94.

35محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص18.

36غربة الياسمين: ص221.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊